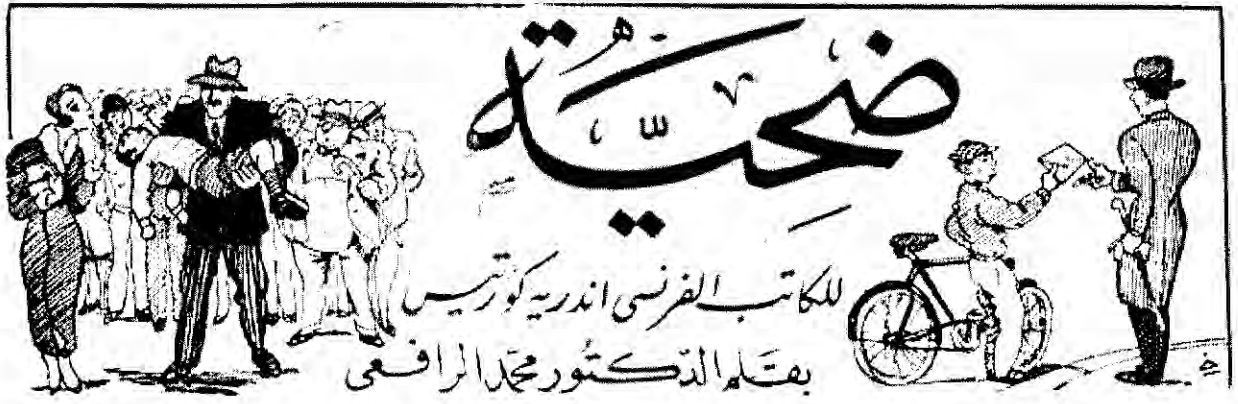




وأطل الغلام من النافذة مرة أخرى فأبصر حملاً صغيراً قد أذهله متظار السيارة فثبت في موقفه حائراً دهشاً... وأعجب الطفل بمنظره فصاح :
— ألا ترى هذا الحمل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه معه ؟

فضمته أمه إلى صدرها وجمعت تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من الغيظ فأعمل محرك السيارة وأندفع بها فجأة ، فلم تكده فتبعته حتى وثب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه من مجرداً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جملة الحمل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعه ، وكان الدم يسهر من فمه الصغير ...

وارناع جان ماري وفزع لهذا المنظر المرعب وجعل يصيح وقد لاذ بأمه . وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشرق ... يا للشرق ! لقد قتل الحمل ... لقد قتل الحمل :

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشتد الجدال بينه وبين الراعي في ثمن القراصة المسكينة . وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية ورمى بها في غضب إلى صاحب الفطيع ، ثم رمى الطفل وأمه بنظرة المنسخط ، وانطلق بالسيارة لا بلوى ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولف الطريق في سواده ؛ فأنكشف على طرف الأفق نور يزهر في العتمة وهو يتحرك فيملو وينخفض كالنذير ليبلغ إليه أنظار السابلة . فما أن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فإذا سواد عريض من قطمان الغم تتابعت في سيرها مقبلة كالوج يدفع بعضه بعضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامعه الضججة من نغائرها ورئين جلاجلها النحاسية ووقمة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وبتعقون بها يستحثونها للمسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجمعت تحتك بها فملأت الجو من ربح أسوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخائق ...

وعندئذ انحدر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلفو ويهال ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال الثلوج والذئاب ... أترينها بالغة حظيرتها الليلة يا أمه ؟

فصاح به لاماس وله زئير :

— هلا عقت أسها الأحمق الصغير ... فما لك

ولهذا ؟

معهما خريطة الطريق فأمرت ابنها أن يردّها الى
السيارة ، فلما نزل الطفل ، وقع في أذنيه صوت
صديقه مالميسيه ، وهو طفل أبله ، وكان يحدث
لاماس فيسأله هذا الأخير :

— ماذا قات لك ؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالميسيه وهو يقطع ألفاظه :

— لقد أمرتني « ميون » أن أنتظر هناك
لأنك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة

الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج الغلام ثم دخل
فصاح به لاماس :

— ويحك ! ما الذي جاء بك ؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة ،
وانسل راجعاً ولم يتكلم

جلس الأستاذ لاماس يأكل طعامه ، وكان
موزع الفكر ، وحمل برامق زوجته بنظرات
كنظرات الأعداء ، وهي غافلة عنه إذ كانت ،
كعادتها منذ شهرين ، تهيم في عالم الخيال تهتماً
بسمادتها ؛ وكان جان ماري يراقبه فيلاحظ منه تلك
النظرات التي تهدد سعادة أمه ، فيرتاع لها ويود
لو صرخ في وجهه : « أيها القاتل ... أيها القاتل »

وكان من عادة لاماس وهو مدرس علم التاريخ
في اللّيسيه بمدينة أورانج ، أن يذهب الى تلك
المدينة لالقاء دروسه بعد الظهر من أيام الاثنين
والاربعاء والجمعة . أما يوم الثلاثاء فيقضيه هناك
في إعطاء الدروس الخاصة . فما الذي عاقه عن السفر
اليوم مع أنه يوم الثلاثاء ؟ لقد كشف زوجته بنيته
أن يخرج وإياها الى متنزه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعي قد أنام ذلك الحبل القاتل على يديه
كالطفل الصغير فانشى عقه وتدلى رأسه في
مسكنة وذبول ... وانطبع هذا المنظر الخفيف
الهائل في خيال الأم وزاده هولاً نظرها الى طفلها ،
فجمعات تضمه إليها وتهدهده وهو ينشج في بكائه
وصاق الأستاذ لاماس فصرخ :

— أما آن لك أن تسكت أيها اللعين !

فكانت الصرخة كالضرب ...

وسكت الطفل وأخذ يفكر ... إنه لا يحب

هذا الرجل العاقى وهو غريب عنه ، ولم يكن ليقول
له « يا أي » لولا ضراعة أمه إليه ... كلا إنه لا يحبه
ولقد أصبح يحقته أشد المقت ويمده قاتلاً ككل
قاتل ... ألم تكن في قلبه رحمة ؟ ألم يكن يستطيع
الانتظار حتى تجوز الغم ؟ ولم هذا الغضب ، ولم
هذه القسوة ، ولم هذا النظر الشرير ؟ ألا صبراً
صبراً ... فهو لم يباع الساعة بعد ... ولكنه
سوف يشب شيان ، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك
الحبل ثم ... وأخذت الأفكار تموج في رأسه
وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك الفريسة ، وأن
السيارة مندفعة إليه تحطم أضلاعه وتدقه بعضه
في بعض ، فصاح من رعبه :

— يا للوحش ... يا للوحش !

وانحنى عليه أمه متفرقة وسألته عما به ،
فأجابها لعله كان يحلم ...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا
بلغت نهر الرون عبرته وأخذت الى نهاية الرصفة ،
وهناك منزل لاماس ، فقال هذا الأخير لامراته :

— اصعدى أنت فأعدى المشاء وسأدخل

السيارة في حظيرتها

وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت

ستقضى الليل بجانب ذلك الرجل ذى العيينتين المدوّتين ؟

وثب من سريره وفتح الباب ، ثم صعد السلم يسرق خطاه حذراً أن يسمع خفق قدميه ، ومضى يقترب من حجرتهم ، وكان الضوء يتخيل من أسفل الباب

وأصت فلم يسمع حساً ، فراه هذا السكون ... إنه خائف ، ولقد ارتجف ... يا اللهى ! أما من كلمة فى فم أو فى قفا ؟ كلمة واحدة يسمعهما فىمكن إليها وشق سمعه صوت أمه وهى تقول فى حدة :

— ألم بأنك أن تخبرنى ماذا بك يا سكتوريان ؟ فأجابها لاماس إنه ليس به شئ ، ثم أطفأ النور وعند ذلك اطمان جان مارى على أمه فارتد إلى غرفته ؛ بيد أن الأرق استولى عليه فلم يجد النوم إليه سبيلاً ؛ فأخذ يفكر فى صديقه ما ليسيه وفيما أرسلته به الموضع المعجوز ... ولماذا انتظر فى (الجراج) ولم يبق الرجل فى المنزل ؟

ثم أشفت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير من الحمى التى انتابته ، فتنفست على وجهه ، فأخذ السكرى بأجفانه ونام ... وارتفع فى الخارج هدبر مياه النهر وهى تتلاطم على صفته الصخرية ، ورفرفت فى الفضاء روح الحل المقتول ...

وفى الغداة ذهب جان إلى المدرسة تجلس غائب الفكر بهيموماً ، تلقى أمامه الدروس فلا يصعب إليها ولا يفقه منها شيئاً ... ولما انتهت الدراسة أوفض إلى الميدان الذى تعود أن يقابل فيه صديقه ما ليسيه فالتصقه حتى وجده ثم ألطفه بشئ خصه به ، وجعل يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم تواطأ معاً على السكمان

وأمرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عاداتها إلى المدرسة ، فصحبت ابنها عند خروجه وجمعت ذلك عذراً تعتذر به ، فغضب الرجل وقال : إن هذا عذر سخيف ... لىكن لماذا قال ذلك ؟ آه ... إن جان مارى قد بدأ يفهم ... فبالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الاول ... منزلها الذى ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت فيه مع أبيه قبل أن يقتل فى حادثة الطائرة ... إنه يذكر هذا المنزل ... لقد كانوا ينزلون منه فى طبقته العليا ، وأبت أمه أن تؤجره بعد وفاة أبيه ، وراغمت فى ذلك زوجها الجديد لاماس ؛ فجاء هذا بالمعجوز الدميعة « ميون » وهى طئره ، فأسكنها فى الطبقة الأرضية نكابة بامرأته ...

ثم إن جان مارى بدأ يفهم ... فليس من ريب أن أمه انما تعمدت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة قلبها إلى الذكرى ... ولىكن لماذا يغضب لاماس ؟ أليس هذا من حقها ؟ ولماذا يرامقها بتلك النظرات المدوّنة : إنه يكابدها منذ شهرين ... فلا جرم أصبحت تندم على زواجها منه وإن كانت فى حاجة إلى هذا الزواج لراحة حالها ... ولكن جان مارى إن بكشفها بما يعلم اشفاقاً عليها ... أنه رجل ، وإن من واجبه أن يحمىها من ذلك الشق السفاح ... الذى قتل الحل ...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهددهما الرجل ويتوعده ...

أرقدت الأم ابنها فى سريره ، وطبعت قلبها على جبينه فأمسك بها وقال :

— إنى أخاف عليك يا أماء ... أفلا تبقيين معى يا طفلى الصغيرة ؟

نحفت من جأشه وخرجت من الغرفة بعد أن أوصته بالنوم . ولكن أنسى له أن يهجع وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهمزأون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطفولة والصداقة

والنقى هذان الطفلان كما اتفدا في الصباح ثم سارا الى دار مانيسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فاسرعا الى موعد الأستاذ لاماس في منزل ظئره المعجوز ، وانزلا اليه من باب خلفي عهد مفتاحه الى مانيسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسمعا ...

جالسوا للمساء ، وكان جان ماري مرتبكا يود لو أسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لاماس شيئا من أمره ، أو يستريب به ، أو يسأله سؤالاً ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأته وبالأفكار التي تذهب ونجى في رأسه . أما والدته فكانت كماداتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأدى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استبقاء أمه الى جانبه ، فالخطر لا يزال بعيداً ولا يزال في الوقت سعة ؛ ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزل الظئر المعجوز ...

كان يكمن في الغرفة المجاورة ، وجمل يوم صور من ثقب في الباب ، فرأى لاماس يدخل فيجلس بجانب المعجوز ؛ وحدثته فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطابق العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئاً وقد أبلغته ذلك في اسان مانيسيه فأوما لاماس برأسه وجمل بمصدق في نيران الموقد كما كان يحملق في الموضع الذي سقطت فيه المثبنة ، وكما كان يرامق زوجته بالأمس ...

لوقته المعلوم ؛ ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تبتاع شيئاً من الفاكهة ، فوضعت ما تحمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهدأت خصل من شعرها الأسود الفاحم على جبينها المشرق الوضيء وأرادت أن تسوي شعرها فتناوات منبتهما^(١) وفتحتها لتخرج منها المشط ولكنها مدت من يدها وانقلب ما فيها ، فلاحظ جان بين أشياء مفتاحا وخطابا غفلا من العنوان ، قد علق به القبار كأنها النقطة من الأرض ... فأهوى ليأخذها ولكن أمه أمرعت فاخططفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الغرفة وخرج منه لاماس متشمتاً مبتدلاً تعجبه العين ، فقال لزوجته في لهجة الرئاب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟

وأجابته :

— كانت الخادمة مشغولة بإعداد الطعام فخرجت اشتري الفاكهة إلى ذاهبة لأغير ملابسى فراجعة بمد هنيئة

وأخذت ترتق السلم وقد حملق لاماس في الموضع الذي سقطت فيه المثبنة ...

كان مانيسيه في العاشرة من عمره ، وهو بنيم قد كفله خاله ، فسكان الجيران يمتحنونه في أعمالهم بشئ من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الموضع « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرته هي أيضا في حاجتها .

(١) المثبنة حقية يد المرأة

إنها والله نظرات يقلى بها الدم في عروق جان
مارى المسكين فيفزع في فراشه كلما تمثلاها ...

ونرى من هو كسافييه دويناس الذى جاء
اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه !
لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جبل المنظر
حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛
وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ،
وكانت تنسهر اذا خرجت معه وتحاذر أن يراها
زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمجازى مقعدة
لا تبرح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخبر ، ومن
أبن لها أن كسافييه هو الرجل الذى يجتمع بأمه في
الطابق العليا كل ثلاثاء ! امهم يظنون ظناً فقط ...
ولكن لاماس كان يقول للمجازى ويكرر هذا
القول :

— إني واثق من أنه هو بعينه . انه هو بعينه
الرجل

وكذلك صر في الحديث نياً خروج أمه في
الأيام الأخيرة كل صباح وتلقبها الرسائل تدس لها
تحت الباب ... ثم قال لاماس

— سوف أأخذ مفتاحاً آخر لهذا الباب ،
وسوف أنصب عليهما انصباباً في الثلاثاء القادم
وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالمعلقة في
خيوط دقيق ... ماهذه الحى ؟ إنه يهدى ... هاهوذا
لاماس ينصب عليه انصباباً ليأخذه فيقتله ...

ثم أخذ يصيح في فراشه ففزعته أمه وأمرعت
إليه ، ولكنه استمسك ولم يفض إليها بشيء إذ
لا يجب في رأيه أن تعرف هذه العزيرة ما يهددها
خشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف
يحميها ويمنمها

جاءت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم
شحوباً ، وتفضن جبينه من القلوب والتفكير ،
ولم تلاحظ أمه هذا التغير الذى طرأ عليه فقد
شغلها عنه سمادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل
صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تحذر ، ولكن جان
مارى موجود يتأهب ليوم الثلاثاء ...

وجاء اليوم الموعود فكان ما ليسيه صديق جان
متكئاً الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ،
وليث يتقرب خروج دويناس حتى رأى مقبلاً
فأسرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أمرتني عقيلة الأستاذ لاماس أن أحمل
اليك رسالتها فهي تريد ألا تلقاها اليوم وأن تبقى هنا
عجب دويناس وحار في هذه الرسالة وفي
الغرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأتمنه على
السر ؟ وما بالها لم تكتب اليه بذلك ، وقد فعات
هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضى ؟

وممنته بلاهة الغلام أن يستقصى منه ، فألقى
اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أهى مريضة ؟
فهز الغلام رأسه بعلامة النفي ، أوماً بها وهو
يمتطي الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد
اطمأن نفسه إذ وفق فيما عهد اليه

والتقى عند الظهر بجان مارى فأخبره عما صنع ؛
وتسلم جان وسره نفاذ تدبيره المحكم ... ثم وعد
الغلام أن يجزيه عشرة فرانكات إن هو كتم السر
وتقشمت سحابة وجهه فتلونت وجنتاه
ولمت عيناه ، ورنّت في صوته نغبات القلب الطامئن
الوائق ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه
ويكاشفها

ها هي ذى خارجة من غرفتها وقد تهبت

واستلّ جان ماري المفتاح من موضعه قدسه في حبيبه وانطلق معلناً أنه ذاهب الى المدرسة ؛ غير أنه ما كاد يعتمد عن الدار حتى تحول الى مكان الموعد في منزل أمه فصعد الى الطابق العليا وأغلق عليه الباب ...

لقد كان هذا المنزل موحشاً كالقبر ، فهو مفارق النوافذ علاه الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخّص إذمازجته رائحة الغبار المتراكم وقد تندّى بالرطوبة ارتعب الطفل وانحاج قلبه وأخذ يرتجف ... ولكن أنحف وقد أشراف على نهاية تدبيره المحكم ؟ كلا ... إن ما يخشاه على نفسه لا يعد شيئاً في جنب ما يخشاه على أمه .

ودخل إلى الهو فجلس في ركن منه وأخذ يتلهى بالتفكير في المعجوز ميون تحت السقف الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تعد عنقها الهزيل وترفع وجهها الدميم إلى السقف ، وترهف أذنيها لاستراق السمع ... ! ولكنه سوف يجعل من هذه الداهية ومن رضيعها لاماس أضحوكة أو أضحوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على ضوء شعاع ضئيل يتفد من صدع في نافذته ، فلما حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة ذهاباً وجيئة وهو يشد وطأته كالرجل ، ثم جعل يحرك الأثاث ويرجه رجاً ليبلغ الصوت إلى مسمي المعجوز ... : لا شك أنها مستطارة من الفرح ، مطمئنة إلى ما تقوله للأستاذ لاماس إذ تقول له « إنهما هنا » ؛ ولا شك أنه سيثب في السلم كالجنون ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصطنعه ، ثم يقتحم الهو كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؟ عند ذلك

الموعد وأبدعت زينتها ... ما أجملها ... وإياها من مسكينة ! فهو سيحرمها مقابلة صديقتها اليوم ... ولكن أليس هذا الحرمان عطاءً ؟ يوم واحد ثم تقابله بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكشفها غداً ويفضي إليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستعده بطلها العظيم وتعجب به وتقبله كثيراً ... بإياها من سعادة ! إنه سعيد ، إنه سعيد ...

جالسا يا كلان فقال جان لأمه وقد حوّل نظره عنها :

— أقيت اليوم صديقي مالبسيه في رجوعي من المدرسة وكنت قد أعرته دراجتي فأخبرني أنه صادف أثناء زهرته هذا السيد الذي تعرفينه ... أُنذركن ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟ فاختنق صوت الأم وغمغمت :
— وماذا قال له ؟

قال له : « إني على جناح السفر الى بلدة -الون فيلنخ ذلك لعقيلة لاماس »

ولم تشأ الأم أن تفيض أو تسكر من الأسئلة ، فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث ريبة ، فسكنت ورفعت يدها من الطعام ، وانقلبت سجنيتها فأصبحت كالنجم الساطع تغشاه السحاب ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه :
— هل لك في زيارة عمتي الآنسة ريزون اليوم ؟ لقد تصرّمت الأيام ولم تذهبي إليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحي ، فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العانس ... وسيهون ذلك عليها ملل الانتظار الى الغد ؛ وفي الغد تقابل صديقتها في المناجم

جان ماري وستذهب لزيارتها ... أما غدا فإن لم تتلق رسالة من دويناس فأنها سوف ... ولكن ما هذا الصوت ؟ ما هذه الجلبة ؟ ما هذا الصياح ؟ أزعجت الستارة عن نافذتها ... فها هذا ؟ رجل مخفور مقبوض عليه ، حوله نساء يبكين ويتصايحن ويلعنن بكل لعنة ويرمينه بكل مسبة ... ولكن هذا زوجها : وما هذا الذي خلفه ؟ يا الهي ... يا الهي ...

واندفعت تهبط السلم في غيروي فرأت بالباب رجلاً من أهل المدينة يحمل على يديه جثة هامدة يسيل منها الدم ؛ وقد انثنى عنقهما وتدلّى رأسها في مسكنة وذبول ... فصرخت ووقعت مغشياً عليها ، وتمثل لها الراعي وقد رفع الجمل المقتول على يديه وهو يلحن صاحب السيارة والسيارة يعتمد ...

محمد الرافعي

كتابه جديرانه

الموجع في المحادثات

(١) فرنسي إنجليزي وفرنسي (٢) فرنسي عربي مع تصوير النطق
نائب الأستاذ محمد مجتهد المخرج لبرنامج التجار لعليا لمير
رئيس القسم الأول في إدارة المحفوظات والبحوث بالثقافة
كلية الدراسات والبحوث في جامعة القاهرة
بنيته عن طريق القارة ، والسفينة يتقلب بك على
غصبات البشر ، بكل منهما ٨٠ متر مربعاً وانبعاثاً
محادثات ، رسائل ، مسترآن ، يتفقدون تلك جميعاً الصيحات
ليست في غنى عما لها وأزواج

رغمه ٦٠٠

بناج جميع الكتاب

وبالبريد ٦٨ مليا طوايح بريد لكل واحد منهما

يصرق إذ يرى جان ماري ؛ فيبتسم له هذا باشاً في وجهه وينبذه في سداجة الطفولة أنه اعتاد المحي إلى هذه الدار في هذه الطبقة في مثل هذا اليوم من كل أسبوع ليأب في منزل أبيه ... وبعد ذلك ... ؟ وبعد ذلك لا يرتاب لاماس إذا أخبرته المعجوز أنها تسمع خطوات في الطبقة العليا ... إن جان ماري لم يعتمد السابعة من عمره ، ولكنه يعتمد في نفسه القوة والحكمة والدهاء ... وقتئذ له دهاؤه أن يشكم بصوت مرتفع إذ رجا كانت المعجوز تسمعهما يتكلمان أحياناً ... وطفق يمشي ويشكم حتى نال منه التعب فاستلقى على مقعد وسكت ... أما يسكتان هما أيضاً بعد الفراغ من حديثهما ... ؟

وكان المقعد الذي يجلس عليه في ركن مظلم بحيث لا يراه لاماس عند دخوله ، فسبضطر مكرها إلى فتح النافذة لأطلاق الضوء ، وعند ذلك ... ؟ ولكن أوه ... إنه يسمع ديب خطوات على السلم ... ها هي ذي تتوقف ! لا شك أن لاماس يتسمع خلف الباب ... ألا إنه قد جاء وقت العمل ... وعليه الآن أن يشكم ويرفع صوته ... ولكن ما الصوت يتحسرج ! إن هو إلا صوت خافت ينبعث من ركن الغرفة المظلم كالهمس ... وفتتح الباب واستمر الهمس ... فأدرك لاماس « أنهما في لذهما ولم ينتهيا إليه » وابتهج ابتهاج الوحش بالقيصة يراها غافلة عنه وهو يدب إليها ؛ وأخذته نشوة الانتقام ، فأفرغ رصاص مسدسه على مصدر الصوت ...

وقفت الأم أمام المرأة تحكم وضع قبعتها قبل الذهاب إلى الآنسة ربوت ، فقد أعجبها رأى